

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴾ ﴿ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ ﴿ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴾ ﴿ فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴾ ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴾ ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَأُوْعَدُونَ ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴾ قال أبو بكر الأنباري: حدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا يعقوب ابن إبراهيم، حدثنا مكسي بن إبراهيم، حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد أن رجلا قال لعمر رضي الله عنه: إني مررت برجل^(١) يسأل عن تفسير مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكني منه؛ فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس ثيابا وعمامة وعمر يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴾؟ فقام عمر فحسر^(٢) عن ذراعيه وجعل يجلده، ثم قال: ألسواء ثيابه واحملوه على قتب^(٣) وأبلغوا به حيه، ثم ليقم خطيبا فليقل: إن صبيغا طلب العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعا في قومه بعد أن كان سيدا فيهم^(٤). وعن عامر بن واثلة أن ابن الكواء سأل عليا رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴾؟ قال: ويلك سل تفقهها ولا تسأل تتعنتا ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴾ الرياح ﴿ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ السحاب ﴿ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴾ السفن ﴿ فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴾ الملائكة^(٥). وروى الحارث عن علي رضي الله عنه ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴾ قال: الرياح ﴿ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ قال: السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر ﴿ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ قال: السفن موقرة ﴿ فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴾ قال: الملائكة تأتي بأمر مختلف؛ جبريل بالغلظة، وميكائيل صاحب الرحمة، وملك الموت يأتي بالموت^(٦). وقال الفراء: وقيل: تأتي بأمر مختلف من الخصب والجذب والمطر والموت والحوادث. ويقال: ذرَّتْ الرِّيحُ التُّرابَ تَذْرُوهُ ذُرُوءًا وتَذْرِيه ذَرِيًّا. ثم قيل: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ﴾ وما بعده أقسام، وإذا أقسم الرب بشيء أثبت له شرفا. وقيل: المعنى ورب الذاريات، والجواب: ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ ﴾ أي الذي توعدونه من الخير والشر والشواب والعقاب ﴿ لَصَادِقٍ ﴾ لا كذب فيه؛ ومعنى: ﴿ لَصَادِقٍ ﴾ لصدق؛ وقع الاسم موقع المصدر. ﴿ وَإِنَّ

(١) هو صبيغ - على وزن أمير - ابن عسل التميمي كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٨)، وانظر: شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٤/ ٦٣٥، ٦٣٦).

(٢) حسر: كشف. اللسان « جسر ».

(٣) قتب: رَحْلٌ صغير علي قدر السنام. اللسان « قتب ».

(٤) إسناد رجاله ثقات: وذكره الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٤٦).

(٥) صحيح: الضياء في المختارة (٢/ ١٢٤)، والحافظ ابن حجر (٨/ ٥٩٩) في الفتح، عن ابن الطُّفَيْل، وإن كان الطبري قد رواه من طرق ضعيفة، وأخرى حسنة كما تفسره (١/ ١٩١ - ١٩٣).

(٦) ضعيف: الحارث هو الأعور وهو ضعيف، وانظر: الطبري (١/ ١٩٣) في تفسيره.

الَّذِينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ يعني الجزء نازل بكم. ثم ابتداءً قسماً آخر فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ﴾ [الذاريات: ٨] وقيل: إن الذاريات النساء الولودات لأن في ذريتهن ذرو الخلق؛ لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات؛ وأقسم بهن لما في تراثهن من خيرة عباده الصالحين. وخص النساء بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذارياً لأمرين: أحدهما: لأنهن أوعية دون الرجال، فلا اجتماع الذريين فيهن خصصن بالذكر. الثاني: أن الذرو فيهن أطول زمناً، وهن بالمباشرة أقرب عهداً.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وَفِرا﴾ السحاب. وقيل: الحاملات من النساء إذا ثقلن بالحمل. والوقر - بكسر الواو: ثقل الحمل على ظهر أو في بطن، يقال: جاء يحمل وقره وقد أقر بعيره. وأكثر ما يستعمل الوقر - في حمل البغل والحمار، والوسق في حمل البعير. وهذه امرأة موقرة بفتح القاف إذا حملت حملاً ثقيلاً. وأوقرت النخلة كثر حملها؛ يقال: نخلة موقرة - وموقر وموقرة، وحكي موقر وهو على غير القياس، لأن الفعل للنخلة. وإنما قيل: موقر - بكسر القاف - على قياس قولك: امرأة حامل، لأن حمل الشجر مشبه بحمل النساء؛ فأما موقر بالفتح فشاذ، وقد روي في قول لبيد يصف نخيلاً:

عَصَبٌ كَوَارِعُ فِي خَلِيَجٍ مُّحَلَّمٍ
حَمَلَتْ فَمِنْهَا مَوْقَرٌ مَكْمُومٌ

والجمع موقر. فأما الوقر بالفتح فهو ثقل الأذن، وقد قررت أذنه تَوَقَّرَ وَفَرَا أي صمت، وقياس مصدره التحريك إلا أنه جاء بالتسكين وقد تقدم في «الأنعام» القول فيه (١). ﴿فَالجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ السفن تجري بالرياح يسرا إلى حيث سيرت. وقيل: السحاب؛ وفي جريها يسرا على هذا القول وجهان: أحدهما: إلى حيث يسيرها الله تعالى من البلاد والبقاع. الثاني: هو سهولة تسييرها؛ وذلك معروف عند العرب، كما قال الأعشى:

كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا
مَشَى السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ قِيلَ
الْخَرَاصُونَ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِ
يُقْتَنُونَ﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قيل: المراد بالسماء ها هنا السُّحُبُ التي تظل الأرض. وقيل: السماء المرفوعة. ابن عمر: هي السماء السابعة (٢)؛ ذكره المهدي والتعليبي والماوردي وغيرهم. وفي ﴿الْحُبُكِ﴾ أقوال سبعة (٣): الأول: قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع: ذات الخلق الحسن المستوي. وقاله عكرمة، قال: ألم تر إلى الناسج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه؛ يقال منه: حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكاً أي أجاد نسجه. قال ابن الأعرابي: كل شيء أحكمته وأحسن عمله فقد احتبكته. والثاني: ذات الزينة؛ قاله الحسن وسعيد بن جبير، وعن الحسن أيضاً:

(١) انظر: الآية (٢٥) من سورة الأنعام . (٢) رجاله ثقات : الطبري (٢٦ / ١٩٦) في تفسيره .

(٣) انظر : الماوردي (٥ / ٣٦١) في تفسيره، والطبري (٢٦ / ١٩٦ ، ١٩٧) في تفسيره ، وفي الإسناد عن ابن عباس انقطاع، لكونه من طريق علي بن أبي طلحة عنه به .

والقرآن من صرف؛ عن الحسن^(١) وغيره. وقيل: المعنى يصرف عن الإيمان من أراده بقولهم هو سحر وكهانة وأساطير الأولين. وقيل: المعنى يصرف عن ذلك الاختلاف من عصمه الله. أَفَكَهُ يَأْفِكُهُ أَفْكَهُ أَي قلبه وصرفه عن الشيء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَجِنْتْنَا لِأَفْكَنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]. وقال مجاهد: معنى: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ يؤفنه عنه من أفن، والإفن: فساد العقل. الزمخشري: وقرئ: «يؤفنه عنه من أفن» (٢) أي يحرمه من حرم؛ من أفك الضرع إذا أنهكه حلبا. وقال قطرب: يخدع عنه من خدع. وقال اليزيدي: يدفع عنه من دفع. والمعنى واحد وكله راجع إلى معنى الصرف.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ في التفسير: لُعن الكذابون. وقال ابن عباس: أي قتل المرتابون؛ يعني الكهنة (٣). وقال الحسن: هم الذين يقولون لسنا نبعث (٤). ومعنى ﴿قُتِلَ﴾ أي هؤلاء ممن يجب أن يدعى عليهم بالقتل على أيدي المؤمنين. وقال الفراء: معنى ﴿قُتِلَ﴾ لُعن؛ قال: ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾ الكذابون الذين يتخرصون بما لا يعلمون؛ فيقولون: إن محمدا مجنون كذاب. ساحر شاعر؛ وهذا دعاء عليهم؛ لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك. قال ابن الأنباري: علمنا الدعاء عليهم؛ أي قولوا: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ وهو جمع خَرَصَ والخَرَصُ الكذب، والخَرَّاصُ الكذاب، وقد خَرَصَ يَخْرِصُ بالضم خرصا أي كذب؛ يقال: خَرَصَ واختَرَصَ، وخلَقَ واختَلَقَ، وبَشَكَ وأبْتَشَكَ، وسَرَجَ واستَرَجَ، ومَانَ، بمعنى كَذَبَ؛ حكاة النحاس. والخرص أيضا: حزر ما على النخل من الرطب تمرا. وقد خرصت النخل والاسم الخرص بالكسر؛ يقال: كم خرص نخلك؟ والخراص الذي يخرصها فهو مشترك. وأصل الخرص القطع على ما تقدم بيانه في «الأنعام» (٥)، ومنه الخريص للخليج؛ لأنه ينقطع إليه الماء، والخَرِصُ: حبة القرط إذا كانت منفردة؛ لانقطاعها عن أخواتها، والخَرِصُ: العود؛ لانقطاعه عن نظائره بطيب رائحته. والخَرِصُ: الذي به جوع ويرد لأنه ينقطع به، يقال: خَرِصَ الرَّجُلُ بالكسر فهو خَرِصٌ، أي جائع مقرور، ولا يقال للجوع بلا برد: خَرِصَ. ويقال للبرد بلا جوع: خرص. والخرص بالضم والكسر الحلقة من الذهب أو الفضة والجمع الخرصان. ويدخل في الخرص قول المنجمين وكل من يدعي الحدس والتخمين. وقال ابن عباس: هم المقسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة، واقتسموا القول في نبي الله ﷺ ليصرفوا الناس عن الإيمان به (٦).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ الغمرة: ما ستر الشيء وغطاه. ومنه نهر غمر أي يغمر من دخله، ومنه غمرات الموت. ﴿سَاهُونَ﴾ أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة. ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي متى يوم الحساب؛ يقولون ذلك استهزاء وشكا في القيامة ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ نصب ﴿يَوْمَ﴾ على تقدير الجزاء أي هذا الجزاء ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يحرقون، وهو من قولهم: فتننت

(١) صحيح إلى الحسن: الطبري (٢٦/ ١٩٧) في تفسيره.

(٢) قراءة شاذة وهي عند الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٧).

(٣) ضعيف: الطبري (٢٦/ ١٩٨) في تفسيره من طريق العوفيين.

(٤) المحرر الوجيز (٦/ ١٩٨) لابن عطية بنحوه.

(٥) الآية (١١٦) من سورة الأنعام.

(٦) ذكره السمرقندي في سورة الحجر (٢/ ٤٦٣)، وابن عادل في اللباب (١٣/ ٣٤٧)، وانظر الآية (٩٠) من سورة

الحجر، وانظر: تفسير البغوي (٧/ ٣٧٢).

الذهب أي أحرقت لتختبره؛ وأصل الفتنة الاختبار. وقيل: إنه مبني بني لإضافته إلى غير متمكن، وموضعه نصب على التقدير المتقدم، أو رفع على البدل من ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾. وقال الزجاج: يقول: يعجبني يوم أنت قائم ويوم أنت تقوم، وإن شئت فتحت وهو في موضع رفع، وإنما انتصب هذا وهو في المعنى رفع. وقال ابن عباس: ﴿يَفْتُونُ﴾ يعذبون. ومنه قول الشاعر:

كُلُّ امرئٍ من عبادِ الله مُضْطَّهِدٌ
بيطِنُ مكةَ مقهورٌ ومفتونٌ

قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي يقال لهم: ذوقوا عذابكم؛ قاله ابن زيد (١). مجاهد: جزيهكم (٢). ابن عباس: أي تكذيبكم يعني جزاءكم (٣). الفراء: أي عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا. وقال: ﴿هَذَا﴾ ولم يقل هذه؛ لأن الفتنة هنا بمعنى العذاب.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ ءَأَخْذِينَ مَا ءَأْتَاهُمْ رَبُّهُمْ ءَأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ لما ذكر مآل الكفار ذكر مآل المؤمنين أي هم في بساتين فيها عيون جارية على نهاية ما يتنزه به. ﴿أَخْذِينَ﴾ نصب على الحال ﴿مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي ما أعطاهم من الثواب وأنواع الكرامات؛ قاله الضحاك (٤). وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة: ﴿أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي عاملين بالفرائض (٥). ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي قبل دخولهم الجنة في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ بالفرائض. وقال ابن عباس: المعنى كانوا قبل أن تفرض عليهم الفرائض محسنين في أعمالهم (٦).

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٨﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٩﴾ وَفِي ءَأْمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّالِبِ
وَالْمُخْرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٨﴾﴾ معنى ﴿يَهْجَعُونَ﴾ ينامون؛ والهجوع: النوم ليلاً، والتهجاع النوم الخفيفة؛ قال أبو قيس بن الأسلت:

قد حصت البيضة رأسي فما
أطعمت نوماً غير تهجاع

وقال عمرو بن معدى كرب يتشوق أخته وكان أسرها الصمة أبو دريد بن الصمة:

أمن ريحانة الداعي السميع
يؤرقني وأصحابي هُجوع

يقال: هجع يهجع هجوعاً، وهبع يهبع هبوعاً بالغين المعجمة إذا نام؛ قاله الجوهري. واختلف في ﴿مَا﴾ فقيل: صلة زائدة؛ قاله إبراهيم النخعي (٧)، والتقدير: كانوا قليلاً من الليل يهجعون؛ أي

(١) الطبرى في تفسيره (٢٦ / ٢٠١).

(٢) صحيح إلى مجاهد: الطبرى في تفسيره (٢٦ / ٢٠١).

(٣) ضعيف: الطبرى في تفسيره (٢٦ / ٢٠٢) من طريق العوفيين.

(٤، ٥) إسناده إلى ابن عباس فيه نظر: السابق (٢٦ / ٢٠٢)، والبغوى (٧ / ٣٧٢) في تفسيره، وأثر الضحاك ذكره

دون عزوه كما عند البغوى (٧ / ٣٧٢) في تفسيره.

(٦) كذا عند الطبرى (٦ / ٢٠٢) في تفسيره، وفي سنده محمد بن حميد وهو متهم بالكذب

(٧) رواه الطبرى (٢٦ / ٢٠٥) في تفسيره وفي سنده ابن حميد وهو متهم بالكذب.

ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره. قال عطاء: وهذا لما أمروا بقيام الليل. وكان أبو ذر يحتجز ويأخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصة ﴿فَمِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (١) [الزمل: ٢] الآية. وقيل: ليس ﴿مَا﴾ صلة بل الوقف عند قوله: ﴿قَلِيلاً﴾ ثم يتدنى ﴿مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ فـ ﴿مَا﴾ للنفي وهو نفي النوم عنهم البتة. قال الحسن: كانوا لا ينامون من الليل إلا أقله وربما نشطوا فجدوا إلى السحر (٢).

وروي عن يعقوب الحضرمي أنه قال: اختلفوا في تفسير هذه الآية فقال بعضهم: ﴿كَانُوا قَلِيلاً﴾ معناه كان عددهم يسيرا ثم ابتداء فقال: ﴿مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ على معنى من الليل يهجعون. قال ابن الأنباري: وهذا فاسد؛ لأن الآية إنما تدل على قلة نومهم لا على قلة عددهم، وبعد فلو ابتدأنا ﴿مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ على معنى من الليل يهجعون لم يكن في هذا مدح لهم؛ لأن الناس كلهم يهجعون من الليل إلا أن تكون ﴿مَا﴾ جحدا.

قلت: وعلى ما تأوله بعض الناس - وهو قول الضحاك (٣) - من أن عددهم كان يسيرا يكون الكلام متصلا بما قبل من قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلاً قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات] أي كان المحسنون قليلا، ثم استأنف فقال: ﴿مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وعلى التأويل الأول والثاني يكون ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ خطابا مستأنفا بعد تمام ما تقدمه ويكون الوقف على ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾، وكذلك إن جعلت ﴿قَلِيلاً﴾ خبر كان وترفع ﴿مَا﴾ بقليل؛ كأنه قال: كانوا قليلا من الليل هجوعهم. فـ ﴿مَا﴾ يجوز أن تكون نافية، ويجوز أن تكون مع الفعل مصدرا، ويجوز أن تكون رفعا على البدل من اسم كان، التقدير كان هجوعهم قليلا من الليل، وانتصاب قوله: ﴿قَلِيلاً﴾ إن قدرت ﴿مَا﴾ زائدة مؤكدة بـ ﴿يَهْجَعُونَ﴾ على تقدير كانوا وقتا قليلا أو هجوعا قليلا يهجعون، وإن لم تقدر ﴿مَا﴾ زائدة كان قوله: ﴿قَلِيلاً﴾ خبر كان ولم يجز نصبه بـ ﴿يَهْجَعُونَ﴾؛ لأنه إذا قدر نصبه بـ ﴿يَهْجَعُونَ﴾ مع تقدير ﴿مَا﴾ مصدرا قدمت الصلة على الموصول. وقال أنس وقتادة في تأويل الآية: أي كانوا يصلون بين العشاءين: المغرب والعشاء (٤). أبو العالية: كانوا لا ينامون بين العشاءين (٥). وقاله ابن وهب. وقال مجاهد: نزلت في الأنصار كانوا يصلون العشاءين في مسجد النبي ﷺ ثم يمشون إلى قباء (٦). وقال محمد بن علي بن الحسين: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة (٧). قال الحسن: كأنه عدَّ هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلاة (٨). وقال ابن عباس ومطرف: قل ليلة لا تأتي عليهم إلا يصلون لله فيها إما

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٣٠٠)، عن ابن جريج، عن عطاء ولو كان الخراساني ففيه انقطاع بينه وبين أبي ذر - رضي الله عنه، فإنه لم يسمع أحداً من الصحابة عندما قدم إلى المدينة كما في سير أعلام النبلاء (٦/١٤١) للذهبي.

(٢) حسن: الطبري في تفسيره (٢٦/٢٠٤).

(٣) ضعيف إليه: كما في تفسير الطبري (٢٦/٢٠٥).

(٤) صحيح: أبو داود في الصلاة (٣٢١، ١٣٢٢) من طريق قتادة، عن أنس وصححه الألباني هناك.

(٥) حسن: الطبري في تفسيره (٢٦/٢٠٣).

(٦) مرسل: السابق (٢٦/٢٠٣).

(٧) محتمل للتحسين: ففيه بكر بن أبي السميط وهو مختلف فيه، وقد رواه الطبري في تفسيره (٢٦/٢٠٣).

(٨) انظر: قيام الليل (ص ٧١).

من أولها وإما من وسطها (١) .

الثانية : روي عن بعض المتجهدين أنه أتاه أت في منامه فأنشده :

وكيف تنام الليل عين قريرةٌ ولم تدّر في أي المجالس تنزلُ

وروي عن رجل من الأزد أنه قال: كنت لا أنام الليل فتمت في آخر الليل، فإذا أنا بشايبين أحسن ما رأيت ومعهما حلل، فوقفا على كل مُصلٍّ وكسواه حلة، ثم انتهيا إلى النيام فلم يكسوهم، فقلت لهما: اكسواني من حللكما هذه؛ فقالا لي: إنها ليست حلة لباس إنما هي رضوان الله يحل على كل مصل. ويروي عن أبي خلاد أنه قال: حدثني صاحب لي قال: فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ مثلت لي القيامة، فنظرت إلى أقوام من إخواني قد أضاءت وجوههم، وأشرفت ألوانهم، وعليهم الحُلل من دون الخلائق، فقلت: ما بال هؤلاء مكتسون والناس عراة، ووجوههم مشرقة، ووجوه الناس مغبرة! فقال لي قائل: الذين رأيتهم مكتسون فهم المصلون بين الأذان والإقامة، والذين وجوههم مشرقة فأصحاب السهر والتهجد، قال: ورأيت أقواما على نجائب، فقلت: ما بال هؤلاء ركبانا والناس مشاة حفاة؟ فقال لي: هؤلاء الذين قاموا على أقدامهم تقربا لله تعالى فأعطاهم الله بذلك خير الثواب؛ قال: فصحت في منامي: واهل للعابدين، ما أشرف مقامهم! ثم استيقظت من منامي وأنا خائف.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ مدح ثان؛ أي يستغفرون من ذنوبهم؛ قاله الحسن. والسر وقت يرجى فيه إجابة الدعاء. وقد مضى في «آل عمران» القول فيه (٢). وقال ابن عمر ومجاهد: أي يصلون وقت السحر فسموا الصلاة استغفاراً (٣). وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ مدوا الصلاة من أول الليل إلى السحر ثم استغفروا في السحر (٤). ابن وهب: هي في الانتصار؛ يعني أنهم كانوا يغدون من قباء فيصلون في مسجد النبي ﷺ. ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قالوا: كانوا يَنْضَحُونَ لناسٍ من الانتصار بالدلاء على الثمار ثم يهجعون قليلا، ثم يصلون آخر الليل. الضحاك: صلاة الفجر. قال الأحنف بن قيس: عرضت عملي على أعمال أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بوناً بعيداً لا تبلغ أعمالهم ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وعرضت عملي على أعمال أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم، يكذبون بكتاب الله ويرسوله وبالبعث بعد الموت، فوجدنا خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا (٥).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ مدح ثالث. قال محمد بن سيرين

(١) صحيح إلى مطرف، وحسن إلى ابن عباس: الطبري (٢٦ / ٢٠٣) في تفسيره، والبغوي (٧ / ٣٧٢) في تفسيره.

(٢) الآية (١٧) من سورة آل عمران.

(٣) صحيح: وإن كان في إسناده الطبري محمد بن حميد، وانظر: الطبري (٢٦ / ٢٠٦، ٢٠٧) في تفسيره.

(٤) حسن: الطبري (٢٦ / ٢٠٤) في تفسيره.

(٥) ضعيف: رواه الطبري (٢٦ / ٢٠٤) في تفسيره، وابن كثير (٨ / ٣٢١) في تفسيره، وفي سننه الحكم بن عطية، وقد روى مناكير وضعفوه كما في الميزان (٢ / ٣٤٣).

وقتادة: الحق هنا الزكاة المفروضة (١). وقيل: إنه حق سوى الزكاة يصل به رحماً، أو يقري به ضيفاً، أو يحمل به كلاً، أو يغني محروماً. وقاله ابن عباس (٢)؛ لأن السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة. ابن العربي (٣): والأقوى في هذه الآية أنها الزكاة؛ لقوله تعالى في سورة ﴿سَأَلْ سَائِلٌ﴾ «المعارج»: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] والحق المعلوم هو الزكاة التي بين الشرع قدرها وجنسها ووقتها، فأما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم؛ لأنه غير مقدر ولا مجنس ولا موقت.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ السائل الذي يسأل الناس لفاقته؛ قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما (٤). ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي حرم المال. واختلف في تعيينه؛ فقال ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما: المحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم. وقالت عائشة رضي الله عنها: المحروم: المحارف الذي لا يتيسر له مكسبه (٥)؛ يقال: رجل مُحَارَفٌ - بفتح الراء - أي محدود محروم، وهو خلاف قولك مبارك. وقد حورف كسب فلان إذا شدد عليه في معاشه كأنه ميل برزقه عنه. وقال قتادة والزهري: المحروم المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته (٦). وقال الحسن ومحمد ابن الحنفية: المحروم الذي يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم (٧). روي أن النبي ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا فجاء قوم بعد ما فرغوا فنزلت هذه الآية ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ﴾ (٨). وقال عكرمة: المحروم الذي لا يبقى له مال (٩). وقال زيد بن أسلم: هو الذي أصيب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته (١٠). وقال القرظي: المحروم الذي أصابته الجائحة ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)﴾ نظيره في قصة أصحاب الجنة حيث قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (١١) [الواقعة: ٦٦] وقال أبو قلابة: كان رجل من أهل اليمامة له مال فجاء سيل فذهب بماله، فقال رجل من أصحابه: هذا المحروم فاقسموا له. وقيل: إنه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه. وهو يروي عن ابن عباس أيضاً (١٢). وقال عبد الرحمن بن حميد: المحروم المملوك. وقيل: إنه الكلب؛ روي أن عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة، فجاء كلب فانتزع عمر رحمه الله كتف شاة فرمى بها إليه وقال: يقولون: إنه المحروم (١٣). وقيل: إنه من وجبت نفقته بالفقر من ذوي

(١) غريب وانظر التالي .

(٢) عزاه السيوطي في الدر لابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٣٥) ، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠) .

(٣) أحكام القرآن (٤/ ١٧٣٠) لابن العربي المالكي . (٤) فتح القدير للشوكاني (٧/ ٤٢) .

(٥) حسن : ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ١٣٥) من طريق عروة عنها ، وانظر تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠) .

(٦) صحيح إلهما : الطبري (٢٦/ ٢٠٩) في تفسيره ، والبغوي في تفسيره (٧/ ٣٧٣) .

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠) ، وزاد المسير (٥/ ٤٢١) لابن الجوزي .

(٨) ضعيف للإرسال : السابق (١٢/ ٢٥٠) ، والطبري (٢٦/ ٢٠٩) في تفسيره ، ولباب النقول للسيوطي (ص ٣٨٦ ، ٣٨٧) .

(٩ - ١١) انظر : فتح القدير (٧/ ٤٢) للشوكاني ، والطبري (٢٦/ ٢٠٨) في تفسيره بسند صحيح إلى أبي قلابة ، وعن عكرمة .

(١٢) منقطع : النكت والعيون للماوردي (٤/ ١٧٠) ، والطبري (٢٩/ ٢٨) في تفسيره بسند منقطع بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس - رضي الله عنهما .

(١٣) كذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢١) .

الأنساب؛ لأنه قد حرم كسب نفسه حتى وجبت نفقته في مال غيره. وروى ابن وهب عن مالك: أنه الذي يحرم الرزق، وهذا قول حسن؛ لأنه يعم جميع الأقوال. وقال الشعبي: لي اليوم سبعون سنة منذ احتلمت أسأل عن المحروم فما أنا اليوم بأعلم مني فيه يومئذ. رواه شعبة عن عاصم الأحول عن الشعبي (١). وأصله في اللغة المنوع من الحرمان وهو المنع. قال علقمة:

وَمُطْعَمُ الْغَنَمِ يَوْمَ الْغَنَمِ مُطْعَمُهُ أَنَّى تَوَجَّهَ وَالْمَحْرُومُ مُحْرَمٌ

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم فيقول الله تعالى: وعزتي وجلالي لأقربنكم ولأبعدنهم» ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢) ذكره الشعبي.

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٣٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾ قُرْبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ لما ذكر أمر الفريقين بين أن في الأرض علامات تدل على قدرته على البعث والنشور؛ فمنها: عود النبات بعد أن صار هشيماً، ومنها: أنه قدر الأقوات فيها قواماً للحيوانات، ومنها: سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها آثار الهلاك النازل بالأمم المكذبة. والموقنون هم العارفون المحققون وحدانية ربهم، وصدق نبوة نبيهم؛ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بتلك الآيات وتدبرها.

قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ قيل: التقدير وفي الأرض وفي أنفسكم آيات للموقنين. وقال قتادة: المعنى من سار في الأرض رأى آيات وعبراً، ومن تفكر في نفسه علم أنه خلق ليعبد الله (٣). ابن الزبير ومجاهد: المراد سبيل الخلاء والبول (٤). وقال السائب بن شريك: يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين؛ ولو شرب لبنا محضاً لخرج منه الماء ومنه الغائط؛ فتلك الآية في النفس. وقال ابن زيد: المعنى أنه خلقكم من تراب، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (٥) [الروم: ٢٠]. السدي ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي في حياتكم وموتكم، وفيما يدخل ويخرج من طعامكم (٦). الحسن: وفي الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والشيب بعد السواد. وقيل: المعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف

(١) صحيح إلى الشعبي: هو بنحوه عند ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠).

(٢) ضعيف: الهيثمي في المجمع (٣/ ٦٢) وعزاه للطبراني في الصغير والأوسط، وقال: «فيه الحارث بن النعمان، وهو ضعيف»، وكذا رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٣٩٢)، وانظره مختصراً عند الألباني (٦١٤٠) في ضعيف الجامع.

(٣) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢١١)، وعزاه السيوطي في الدر (٦/ ١٣٧) إلى أبي الشيخ وابن المنذر.

(٤) حسن: الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ٢٥٠)، وشعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٢٩٣).

(٥) الطبري في تفسيره بنحوه (٢٦/ ٢١١). (٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٠).

الالسنة والألوان والصور، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصت به من أنواع المعاني والفنون، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح، وتأنيها لما خلقت له، وما سوى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والثني، وأنه إذا جسا (١) شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني بصر القلب ليعرفوا كمال قدرته. وقيل: إنه نوح العاجز، وحرمان الحازم.

قلت: كل ما ذكر مراد في الاعتبار. وقد قدمنا في آية التوحيد من سورة «البقرة» (٢) أن ما في بدن الإنسان الذي هو العالم الصغير شيء إلا وله نظير في العالم الكبير، وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر.

قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال سعيد بن جبير والضحاك: الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق (٣). قال سعيد بن جبير: كل عين قائمة إنها من الثلج (٤). وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (٥). وقال أهل المعاني ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ معناه وفي المطر رزقكم؛ سمي المطر سماء لأنه من السماء ينزل. قال الشاعر:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

وقال ابن كيسان: يعني وعلى رب السماء رزقكم؛ نظيره ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾

[هود: ٦]. وقال سفيان الثوري: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي عند الله في السماء رزقكم (٦). وقيل: المعنى وفي السماء تقدير رزقكم، وما فيه لكم مكتوب في أم الكتاب. وعن سفيان قال: قرأ واصل الأحذب ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض! فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا فإذا هو في الثالثة بدوخلة (٧) رطب، وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوختين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الله بالموت بينهما (٨). وقرأ ابن محيصة ومجاهد: «وفي السماء رزقكم» بالألف وكذلك في آخرها «إن الله هو الرزق». ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال مجاهد: يعني من خير وشر (٩). وقال غيره: من خير خاصة. وقيل: الشر خاصة. وقيل: الجنة؛ عن سفيان بن عيينة (١٠). الضحاك: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة والنار. وقال ابن سيرين: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من أمر الساعة. وقاله الربيع.

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ أكد ما أخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق، وأقسم عليه بأنه لحق ثم أكده بقوله: ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تُنطِقُونَ﴾ وخص النطق من بين سائر

(١) جسا: ييس وضعف. اللسان «جسا». (٢) يقصد الآية (١٦٤).

(٣) (٤) ضعيف جدا إلى الضحاك: الطبري (٢٦/ ٢١٢) في تفسيره وفيه جوهر تالف، ورواه عن سعيد بن جبير أيضا.

(٥) ضعيف الطبري (٢٦/ ٢١٢) في تفسيره.

(٦) ضعيف: الطبري (٢٦/ ٢١٢) من طريق ابن حميد وهو متهم.

(٧) دَوْخَلَةٌ: سفينة من حوص يوضع فيها التمر والرطب اللسان «دخل».

(٨) ضعيف: وقد سبق. (٩) صحيح إلى مجاهد: تفسير الطبري (٢٦/ ٢١٣).

(١٠) ضعيف جدا إليهما: في سند سفيان ابن حميد، وفي سند الضحاك: جوهر وهو متروك: الطبري (٢٦/ ٢١٣).

الحواس؛ لأن ما سواه من الحواس يدخله التشبيه، كالذي يرى في المرأة، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها، والدوى والطنين في الأذن، والنطق سالم من ذلك، ولا يعترض بالصدى لأنه لا يكون إلا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكل به. وقال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره.

وقال الحسن: بلغني أن نبي الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾» (١).

وقال الأصمعي: أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلدا سيفه ويده قوسه، فدنا وسلم وقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصم، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن؛ قال: وللرحمن كلام يتلوه الأدميون؟ قلت: نعم؛ قال: فأتل عليّ منه شيئا؛ فقرأت ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ فقال: يا أصمعي حسبك! ثم قام إلى ناقته فنحراها وقطعها بجلدها.

وقال: أعني على توزيعها؛ ففرقتها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ووضعهما تحت الرحل وولى نحو الريادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فمقت نفسي ولتها، ثم حججت مع الرشيد، فبينما أنا أطوف إذا أنا بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي وهو ناحل مصفر، فسلم عليّ وأخذ بيدي وقال: أتل عليّ كلام الرحمن، وأجلسني من وراء المقام فقرأت ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال الأعرابي: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقا، وقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ قال: فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله! من الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدقوه في قوله حتى أجزوه إلى اليمين؟ فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه.

وقال يزيد بن مرثد: إن رجلا جاع بمكان ليس فيه شيء فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فأنتي به؛ فشبع وروي من غير طعام ولا شراب. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت» (٢) أسنده الثعلبي. وفي «سنن ابن ماجه» عن جبه (٣) وسواء ابني خالد قالوا: دخلنا على النبي ﷺ وهو يعالج شيئا فأعناه عليه، فقال: «لا تياسا من الرزق ما تهزرت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله» (٤).

وروي أن قوما من الأعراب زرعوا زراعا فأصابته جائحة فحزنوا لأجله، فخرجت عليهم أعرابية

(١) مرسل ضعيف: الطبري (٢٦/ ٢١٣) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥١).

(٢) ضعيف جدا: الديلمي في مسند الفردوس (٩٢-٥٠)، وابن عدي في الكامل (٦/ ١٩).

(٣) حجة: ابن خالد الخزاعي صحابي معدود في أهل الكوفة، وسمى الأعمش أخاه (سوارا بدلا من) سواء مع التشديد، واعتمد ابن حجر الأول كما في الإصابة (١/ ٣٠٤، ٢/ ٩٥).

(٤) ضعيف: ابن ماجه (٤١٦٥) في الزهد وضعفه الألباني هناك، وأحمد (٣/ ٤٦٩).

فقلت: ما لي أراكم قد نكستم رؤوسكم، وضاعت صدوركم، هو ربنا والعالم بنا، رزقنا عليه يأتينا به حيث شاء! ثم أنشأت تقول:

لو كان في صخرة في البحر راسية
رزقٌ لنفسي برأها الله لانفلقتُ
أو كان بين طباق السبع مسلكتها
حتى تنال الذي في اللوح خط لها
صمًا مملمةً ملسًا نواحيها
حتى تؤدي إليها كل ما فيها
لسهل الله في المرقى مرآيتها
إن لم تنله وإلا سوف يأتيها

قلت: وفي هذا المعنى قصة الأشعرين حين أرسلوا رسولهم إلى النبي ﷺ، فسمع قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فرجع ولم يكلم النبي ﷺ وقال: ليس الأشعريون بأهون على الله من الدواب؛ وقد ذكرناه في سورة «هود» (١). وقال لقمان: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة﴾ [لقمان: ١٦] الآية. وقد مضى في «لقمان» وقد استوفينا هذا الباب في كتاب: «قمع الحرص بالزهد والقناعة» والحمد لله. وهذا هو التوكل الحقيقي الذي لا يشوبه شيء.

وهو فراغ القلب مع الرب؛ رزقنا الله إياه ولا أحالنا على أحد سواه بمنه وكرمه.
قوله تعالى: ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ قراءة العامة ﴿مثل﴾ بالنصب أي كمثل ﴿ما أنكم﴾ فهو منصوب على تقدير حذف الكاف أي كمثل نطقكم و﴿ما﴾ زائدة؛ قاله بعض الكوفيين. وقال الزجاج والعراء: يجوز أن ينتصب على التوكيد؛ أي لحق حقًا مثل نطقك؛ فكأنه نعت لمصدر محذوف، وقول سيبويه: إنه مبني بني حين أضيف إلى غير متمكن و﴿ما﴾ زائدة للتوكيد. المازني ﴿مثل﴾ مع ﴿ما﴾ بمنزلة شيء واحد فبني على الفتح لذلك. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ قال: ولأن من العرب من يجعل مثلًا منصوبًا أبدًا؛ فتقول: قال لي رجل مثلك، ومررت برجل مثلك بنصب مثل على معنى كمثل. وقرأ أبو بكر وحزمة والكسائي والأعمش «مثل» (٢) بالرفع على أنه صفة لحق؛ لأنه نكرة وإن أضيف إلى معرفة، إذ لا يختص بالإضافة لكثرة الأشياء التي يقع بعدها التماثل بين المتماثلين. و﴿مثل﴾ مضاف إلى ﴿أنكم﴾ و﴿ما﴾ زائدة ولا تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر إذ لا فعل معه تكون معه مصدرًا. ويجوز أن تكون بدلًا من ﴿لحق﴾.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ① إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ② فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ③ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ④ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ⑤

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ليبين بها أنه أهلك المكذب بآياته كما فعل بقوم لوط. ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي ألم يأتك. وقيل: ﴿هل﴾ بمعنى قد؛ كقوله

= والقشرهنا: المراد به الثياب كما في النهاية لابن الأثير - رحمه الله (٤ / ٦٤).

(١) عند الآية (٦) من سورة هود.

(٢) قراءة متواترة - تقريب النشر (ص ١٧٦).

تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان : ١] . وقد مضى الكلام في ضيف إبراهيم في «هود» (١) «والحجر» (٢) . ﴿الْمُكْرِمِينَ﴾ أي عند الله؛ دليله قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] قال ابن عباس: يريد جبريل وميكائيل وإسرافيل - زاد عثمان بن حصين - ورفائيل عليهم الصلاة والسلام (٣) . وقال محمد بن كعب: كان جبريل ومعه تسعة . وقال عطاء وجماعة: كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر . قال ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم غير مذعورين . وقال مجاهد: سماهم مكرمين لخدمة إبراهيم إياهم بنفسه (٤) . قال عبد الوهاب: قال لي علي بن عياض: عندي هريسة ما رأيك فيها؟ قلت: ما أحسن رأيي فيها؛ قال: امض بنا؛ فدخلت الدار فننادى الغلام فإذا هو غائب، فما راعني إلا به ومعه القمقمة والطست وعلى عاتقه المنديل، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو علمت يا أبا الحسن أن الأمر هكذا؛ قال: هون عليك فإنك عندنا مكرم، والمكرم إنما يخدم بالنفس؛ انظر إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ .

قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ تقدم في «الحجر» . ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي عليكم سلام . ويجوز بمعنى أمري سلام أو ردي لكم سلام . وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما «سلم» بكسر السين (٥) . ﴿قَوْمٌ مُّكْرَمُونَ﴾ أي أنتم قوم منكرون؛ أي غرباء لا نعرفكم . وقيل: لأنه رآهم على غير صورة البشر، وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم فنكرهم، فقال: ﴿قَوْمٌ مُّكْرَمُونَ﴾ . وقيل: أنكرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان . وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض . وقيل: خافهم؛ يقال: أنكرته إذا خفته، قال الشاعر:

فَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ
مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ قال الزجاج: أي عدل إلى أهله . وقد مضى في «الصفات» (٦) . ويقال: أراغ وارتاغ بمعنى طلب، وماذا تريغ أي تريد وتطلب، وأراغ إلى كذا أي مال إليه سرا وحاد، فعلى هذا يكون أراغ وأراغ لغتين بمعنى . ﴿فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ أي جاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في «هود» : ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩] . ويقال: إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه، لثلا يظهرها على ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام .

قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ يعني العجل . قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر، واختاره لهم سمينا زيادة في إكرامهم (٧) . وقيل: العجل في بعض اللغات الشاة . ذكره القشيري . وفي الصحاح:

(١) انظر: الآية (٦٩) من سورة هود .

(٢) انظر: الآية (٥١) من سورة الحجر .

(٣) بنحوه عند ابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ٢٠٢) ، والماوردي (٤/ ١٧٣) في النكت والعيون . قلت : وهذه إسرائيليات لا تصح .

(٤) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٢٦/ ٢١٤) في تفسيره .

(٥) هذا قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٢٥) .

(٦) عند الآية (٩١) من سورة الصفات .

(٧) صحيح إلى قتادة : الطبري (٢٦/ ٢١٥) في تفسيره ، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٢٣) .

العجل ولد البقرة والعجول مثله والجمع العجاجيل والأثنى عجلة، عن أبي الجراح، وبقرة معجل ذات عجل، وعجل قبيلة من ربيعة.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي أحس منهم في نفسه خوفاً. وقيل: أضمر لما لم يتحرموا بطعامه. ومن أخلاق الناس: أن من تحرم بطعام إنسان أمنه. وقال عمرو بن دينار: قالت الملائكة: لا نأكل إلا بالثمن. قال: كلوا وأدوا ثمنه. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تسمون الله إذا أكلتم وتحمدونه إذا فرغتم. فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لهذا اتخذك الله خليلاً (١). وقد تقدم هذا في «هود»، ولما رآوا ما بإبراهيم من الخوف ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ وأعلموه أنهم ملائكة الله ورسله. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي بولد يولد له من سارة زوجته. وقيل: لما أخبروه أنهم ملائكة لم يصدقهم، فدعوا الله فأحيا العجل الذي قربه إليهم. وروى عون بن أبي شداد: أن جبريل مسح العجل بجناحه، فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار (٢). ومعنى ﴿عَلِيمٍ﴾ أي يكون بعد بلوغه من أولي العلم بالله وبدينه. والجمهور على أن المشر به هو إسحاق. وقال مجاهد وحده: هو إسماعيل وليس بشيء فإن الله تعالى يقول: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]. وهذا نص (٣).

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ قَالُوا كَذَّالِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ﴾ أي في صيحة وضجة؛ عن ابن عباس وغيره (٤). ومنه أخذ صرير الباب وهو صوته. وقال عكرمة وفتادة: إنها الرنة والتأوه ولم يكن هذا الإقبال من مكان إلى مكان (٥). قال الفراء: وإنما هو كقولك: أقبل يشتمني، أي أخذ في شتمي. وقيل: أقبلت في صرة أي في جماعة من النساء تسمع كلام الملائكة. قال الجوهري: الصرة: الضجة والصيحة، والصرة الجماعة، والصرة الشدة من كرب وغيره، قال امرؤ القيس:

فَأَلْحَقَهُ بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَّاحِرُهَا فِي صِرَةٍ لَمْ تَزِيلِ

يحتمل هذا البيت الوجوه الثلاثة. وصرة القيط شدة حره. فلما سمعت سارة البشارة صكت وجهها؛ أي ضربت يدها على وجهها على عادة النسوان عند التعجب؛ قاله سفيان الثوري وغيره (٦). وقال ابن عباس: صكت وجهها لطمته (٧). وأصل الصك الضرب؛ صكه أي ضربه؛ قال الرازي:

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ١٧٣) عن مكحول ولا يصح.

(٢) النكت والعيون للماوردي (٤/ ١٧٣)، وهذا باطل.

(٣) هو صحيح الإسناد باطل المعنى: مخالف للإجماع ولسياق القرآن، ورواه الطبري (٢٦/ ٢١٥) في تفسيره.

(٤) ضعيف: رواه الطبري (٢٦/ ٢١٥) في تفسيره من طريقين: أحدهما عن العوفيين، والآخر عن علي بن أبي طلحة وكليهما ضعيف.

(٥) صحيح إلى فتادة: الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢١٦).

(٦) وقاله السدي أيضاً كما هو الحال عند الطبري (٢٦/ ٢١٦) في تفسيره.

(٧) ضعيف: منقطع بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس كما رواه الطبري (٢٦/ ٢١٦) في تفسيره، وعزاه السيوطي (٦/ ١٣٨) في الدر لابن المنذر ولا بن أبي حاتم (١٢/ ٢٥١).

يَا كَرَوَانَا صُكَّ فَاكَبَانَا

قال الاموي: كَبِنَ الظبي إذا لَطَأَ بالأرض واكْبَانَ انقبض. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي أتلد عجوز عقيم. الزجاج: أي وقالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ كما قالت: ﴿يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢] ﴿قَالُوا كَذَلِكَ﴾ أي كما قلنا لك وأخبرناك ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ فلا تشكي فيه، وكان بين البشارة والولادة سنة وكانت سارة لم تلد قبل ذلك فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم يومئذ ابن مائة سنة وقد مضى هذا. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لما تيقن إبراهيم عليه السلام أنهم ملائكة بإحياء العجل والبشارة قال لهم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي ما شأنكم وقصتكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ يريد قوم لوط. ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ أي لنرجمهم بها. ﴿مُسَوَّمَةً﴾ أي معلمة. قيل: كانت مخططة بسواد وبياض. وقيل: بسواد وحمرة. وقيل: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ أي معروفة بأنها حجارة العذاب. وقيل: على كل حجر اسم من يهلك به. وقيل: عليها أمثال الخواتيم. وقد مضى هذا كله في «هود» (١). فجعلت الحجارة تتبع مسافريهم وشذاهم فلم يفلت منهم مخبر. ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي عند الله وقد أعدها لرجم من قضى برجمه. ثم قيل: كانت مطبوخة طبخ الأجر؛ قاله ابن زيد وهو معنى قوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] على ما تقدم بيانه في «هود». وقيل: هي الحجارة التي نراها وأصلها طين، وإنما تصير حجارة بإحراق الشمس إياها على مر الدهور. وإنما قال: ﴿مِّن طِينٍ﴾ ليعلم أنها ليست حجارة الماء التي هي البرد. حكاه القشيري.

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لما أردنا إهلاك قوم لوط أخرجنا من كان في قومه من المؤمنين؛ لئلا يهلك المومنون، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١]. ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني لوطا وبنتيه وفيه إضمار؛ أي فما وجدنا فيها غير أهل بيت. وقد يقال: بيت شريف يراد به الأهل. وقوله: ﴿فِيهَا﴾ كناية عن القرية ولم يتقدم لها ذكر؛ لأن المعنى مفهوم. وأيضا فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يدل على القرية؛ لأن القوم إنما يسكنون قرية. وقيل: الضمير فيها للجماعة. والمؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ لئلا يتكرر، كما قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الانقياد بالظاهر، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا. فسامهم في الآية الأولى مؤمنين؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. وقد مضى الكلام في هذا المعنى في «البقرة» (٢) وغيرها. وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤] يدل على الفرق بين الإيمان والإسلام، وهو مقتضى حديث جبريل - عليه السلام - في «صحيح مسلم».

(٢) عند الآية (٨).

(١) عند الآيتين (٨٢، ٨٣).

وغيره^(١). وقد بيناه في غير موضع.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ أي عبرة وعلامة لأهل ذلك الزمان ومن بعدهم؛ نظيره ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]. ثم قيل: الآية المتروكة نفس القرية الخربة. وقيل: الحجارة المنسودة التي رجموا بها هي الآية. ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ لأنهم المنتفعون.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ قَتُولَى بِرُكْنَيْهِ وَقَالَ سَحِرْ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ وَفَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ أي وتركنا أيضا في قصة موسى آية. وقال الفراء: هو معطوف على قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ [الذاريات: ٢٠]، ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحجة بينة وهي العصا. وقيل: أي بالمعجزات من العصا وغيرها. ﴿فَتَوَلَّى﴾ أي فرعون أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنَيْهِ﴾ أي بمجموعة وأجناده؛ قاله ابن زيد^(٢)، وهو معنى قول مجاهد، ومنه قوله: ﴿أَوْ أَوْيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] يعني المنعة والعشيرة. وقال ابن عباس وقتادة: بقوته^(٣).

ومنه قول عنترة:

فَمَا أَوْهَى مِرَاسُ الْحَرْبِ رُكْنِي

ولكن ما تقادم من زمني
وقيل: بنفسه. وقال الأخفش: بجانبه؛ كقوله تعالى: ﴿أَعْرَضَ وَتَأَيَّ بِجَانِبِهِ﴾ [فصلت: ٥١] وقاله المؤرج. الجوهرى: وركن الشيء جانبه الأقوى، وهو يأوي إلى ركن شديد أي عزة ومنعة. القشيري: والركن جانب البدن. وهذا عبارة عن المبالغة في الإعراض عن الشيء ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، لأنهم قالوهما جميعا. قاله المؤرج والفراء. وأنشد بيت جرير:

أُتْعَلِبَةُ الْفَوَارِسِ أَوْ رِيحًا

عَدَلَتْ بِهِمْ طَهِيَّةٌ وَالْخَشَابَا
وقد توضع ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ أَنْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] والواو بمعنى أو، كقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣] وقد تقدم جمع هذا. ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ﴾ لكفرهم وتوليهم عن الإيمان. ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ أي طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يعني فرعون، لأنه أتى ما يلام عليه.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَةَ﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالْزَّمِيرِ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ أي وتركنا في عاد آية لمن تأمل ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَةَ﴾ وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا، ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة؛ ومنه امرأة عقيم لا تحمل ولا تلد. ثم

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) الطبري في تفسيره (٣/٢٧)

(٣) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٧/٤) في تفسيره

قيل: هي الجنوب. روى ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن النبي ﷺ قال: «الريح العقيم الجنوب»^(١). وقال مقاتل: هي الدبور كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»^(٢). وقال ابن عباس: هي النكباء^(٣). وقال عبيد بن عمير: مسكنها الأرض الرابعة وما فتح على عاد منها إلا كقدر منخر الثور^(٤). وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد أيضا: أنها الصبا؛ فالله أعلم.

قوله تعالى: ﴿مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي كالشيء الهشيم؛ يقال للنبت إذا يبس وتفتت: رميم وهشيم.

قال ابن عباس: كالشيء الهالك البالي^(٥)؛ وقاله مجاهد^(٦): ومنه قول الشاعر:
تَرَكَتَنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصْرِي وَإِذْ بَقِيَتْ كَعْظُمُ الرِّمَّةِ الْبَالِيِ
وقال قتادة: إنه الذي ديس من يابس النبات^(٧). وقال أبو العالية والسدي: كالتراب المدقوق^(٨). قطرب: الرميم الرماد. وقال يمان: ما رمته الماشية من الكلاب بمرمتها. ويقال للشفة: المرمة والمقمة بالكسر، والمرمة بالفتح لغة فيه. وأصل الكلمة من رم العظم إذا بلي؛ تقول منه: رم العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم، قال الشاعر:

ورأى عواقبَ خُلْفِ ذَاكَ مَدْمَةً تَبَقَّى عَلَيْهِ وَالْعِظَامُ رَمِيمٌ
والرِّمَّةُ - بالكسر - العظام البالية والجمع رِمَمٌ ورِمَامٌ. ونظير هذه الآية ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] حسب ما تقدم.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٦١﴾ فَعْتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦٢﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ أي وفيهم أيضا عبرة وآية حين قيل لهم: عيشوا متمتعين بالدنيا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي إلى وقت الهلاك وهو ثلاثة أيام كما في هود: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]. وقيل: معنى ﴿تَمَتَّعُوا﴾ أي أسلموا وتمتعوا إلى وقت فراغ آجالكم. ﴿فَعْتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي خالفوا أمر الله فعقروا الناقة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أي الموت.

(١) مرسل: رواه الطبري عن الحارث، عن سعيد بن المسيب موقوفاً عليه كما في تفسيره (٢٧/٦).
(٢) متفق عليه: البخاري (٣٣٤٣) في أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٧/٩٠٠) في صلاة الاستسقاء، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وقول مقاتل عند الماوردي (٤/١٧٤) في النكت والعيون.
(٣) وجدته في الدر المنثور (٦/١٣٩) للسيوطي. وفتح القدير (٧/٥٢) للشوكاني معزواً للقرطبي، وابن المنذر، عن علي - رضي الله عنه.

(٤) وجدته في العظمة (٤/١٣٣٣)، عن عطاء بن يسار، عن كعب، فالخير من الإسرائيليات.

(٥) ضعيف: الطبري (٢٦/٩٧) في تفسيره من طريق العوفيين.

(٦) صحيح: انظر: السابق (٢٦/٩٧).

(٧) النكت والعيون (٤/١٧٤) للماوردي.

(٨) السابق (٤/١٧٤)، والبغوي (٧/٣٧٨) في تفسيره.

وقيل: هي كل عذاب مهلك. قال الحسين بن واقد: كل صاعقة في القرآن فهو العذاب (١).
 وقرأ عمر بن الخطاب وحميد وابن محيصن ومجاهد والكسائي «الصعقة» (٢) يقال: صَعَقَ الرَّجُلُ
 صَعَقَةً وَتَصَعَقًا أَي غَشِيَ عَلَيْهِ. وصعقتهم السماء أي ألقت عليهم الصاعقة. والصاعقة أيضا صيحة
 العذاب وقد مضى في «البقرة» (٣) وغيرها. ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليها نهارا. ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ قيل: معناه
 من نهوض. وقيل: ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله وأن يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه عن أنفسهم؛
 تقول: لا أقوم لهذا الأمر أي لا أطيعه. وقال ابن عباس: أي ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم في
 العذاب. ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ أي ممتنعين من العذاب حين أهلكوا، أي ما كان لهم ناصر.

﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٤)

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو: «وقوم نوح» بالخفض (٤)؛ أي
 وفي قوم نوح آية أيضا. السابقون بالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح، أو يكون معطوفا على الهاء
 والميم في ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ [الذاريات: ٤٤] أو الهاء في «أخذناه» أي فأخذتهم الصاعقة وأخذت قوم
 نوح، أو ﴿فَبَدَّلْنَا هُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الذاريات: ٤٠] وبئذنا قوم نوح، أو يكون بمعنى اذكر.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٥) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٦﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ
 خَلَقْنَا زَوْجِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ لما بين هذه الآيات قال: وفي السماء آيات وعبر تدل على أن
 الصانع قادر على الكمال، فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آيتان. ومعنى ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي
 بقوة وقدرة (٥). عن ابن عباس وغيره (٦). ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال ابن عباس: لقادرون (٧).
 وقيل: أي وإنا لذو سعة، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده.
 وقيل: أي وإنا لموسعون الرزق على خلقنا. عن ابن عباس أيضا. الحسن: وإنا لمطيقون (٨).
 وعنه أيضا: وإنا لموسعون الرزق بالمطر (٩).

(١) سبق تخريجه .

(٢) (٤، ٤) قراءتان متواترتان : تقريب النشر (ص١٧٦) .

(٣) عند الآية (١٩) .

(٥) هذا صحيح : وليس هذا بالتأويل ، وذلك ما يوضحه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١ / ١٩٩) فيقول في معرض
 الرد على تأويل اليمين بالقدرة .

« والقوة إما تسمى الأيد في لغة العرب ؛ لا اليد ، ومن لا يفرق بين اليد والأيد فهو إلى التعليم والتسليم إلى
 الكتابات أحوج منه إلى التروؤس والمناظرة . ا . هـ بتصرف

(٦) منقطع : بين ابن عباس وعلي بن أبي طلحة كما في تفسير الطبري (٢٧ / ٨) وكذا رواه قتادة ومجاهد ،
 ومنصور ، وابن زيد .

(٧) تفسير البغوي (٧ / ٣٧٩) .

(٨، ٩) زاد المسير (٥ / ٤٢٤) لابن الجوزي بنحوه دون عزو ، والماوردي في النكت والعيون (٤ / ١٧٥) .

وقال الضحاك (١): أغنياناكم؛ دليله ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. وقال القسبي: ذو سعة على خلقنا. والمعنى متقارب. وقيل: جعلنا بينهما وبين الأرض سعة. الجوهري: وأوسع الرجل أي صار ذا سعة وغنى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمَوْسِعُونَ﴾ أي أغنياء قادرين. فشمّل جميع الأقوال. ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي بسطناها كالفرش على وجه الماء ومددناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ أي فنعيم الماهدون نحن لهم. والمعنى في الجمع التعظيم؛ مهدت الفراش مهدا بسطته ووطأته، وتمهيد الأمور تسويتها وإصلاحها.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي صنفين ونوعين مختلفين. قال ابن زيد: أي ذكرا وأنثى وحلوا وحامضا ونحو ذلك (٢). مجاهد. يعني الذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجن والإنس، والخير والشر، والبكرة والعشي، وكالاشياء المختلفة الألوان من الطعوم والأرايح والأصوات. أي جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة (٣). وقيل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ لتعلموا أن خالق الأرواح فرد، فلا يقدر في صفة حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء؛ إذ هو عز وجل وتر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿ أَتَوَصَّوْنَ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿ قَوْلٌ عَلَيْهِم مَّا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿ وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ تَنَفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿

قوله تعالى: ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لما تقدم ما جرى من تكذيب أممهم لأبيانهم وإهلاكهم؛ لذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد؛ أي قل لقومك: ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي فروا من معاصيه إلى طاعته. وقال ابن عباس: فروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم. وعنه: فروا منه إليه واعملوا بطاعته (٤). وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ اخرجوا إلى مكة (٥). وقال الحسين بن الفضل: احترزوا من كل شيء دون الله فمن فر إلى غيره لم يمتنع منه (٦). وقال أبو بكر الوراق: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن. وقال الجنيد: الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله ينعكم منه. وقال ذو النون المصري: ففروا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر. وقال عمرو بن عثمان: فروا من أنفسكم إلى ربكم. وقال أيضا: فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم. وقال سهل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي أنذركم عقابه على الكفر والمعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أمر محمدا ﷺ أن يقول هذا للناس وهو النذير. وقيل: هو خطاب من الله للخلق ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾ أي من محمد وسيوفه ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي أنذركم بأسه وسيفه

إن أشركتم بي؛ قاله ابن عباس .

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ؛ أي كما كذبك قومك وقالوا: ساحر أو مجنون، كذب من قبلهم وقالوا مثل قولهم. والكاف من ﴿كَذَلِكَ﴾ يجوز أن تكون نصبا على تقدير أنذركم إنذارا كإنذار من تقدمني من الرسل الذين أنذروا قومهم، أو رفعا على تقدير الأمر كذلك أي كالأول. والأول تخويف لمن عصاه من الموحدين، والثاني لمن أشرك به من الملحدين. والتمام على قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ عن يعقوب وغيره. قوله تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب، وتواطؤوا عليه؛ والألف للتوبيخ والتعجب. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ أي لم يوص بعضهم بعضا بل جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحد في الكفر. قوله تعالى: ﴿قَتَلُوا عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم واصفح عنهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ عند الله لأنك أديت ما عليك من تبليغ الرسالة، ثم نسخ هذا بقوله تعالى: ﴿وَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ تَنَفَّعُوا مِنَ الْإِيمَانِ﴾ وقيل: نسخ بآية السيف. والأول قول الضحاك (١)؛ لأنه قد أمر بالإقبال عليهم بالموعظة. وقال مجاهد (٢): ﴿قَتَلُوا عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ أي ليس يلومك ربك على تقصير كان منك ﴿وَذَكَرْنَا﴾ أي بالعظة، فإن العظة ﴿تَنَفَّعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قتادة: ﴿وَذَكَرْنَا﴾ بالقرآن ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَ﴾ به ﴿تَنَفَّعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وقيل: ذكرهم بالعقوبة وأيام الله. وخص المؤمنين؛ لأنهم المنتفعون بها .

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢١) مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٢٢﴾ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٣﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبد، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص. والمعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون. قال القشيري: والآية دخلها التخصيص على القطع؛ لأن المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يقال: أراد منهم العبادة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة، فالآية محمولة على المؤمنين منهم؛ وهو كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤] وإنما قال فريق منهم. ذكره الضحاك والكلبي والفراء والقتبي (٣). وفي قراءة عبد الله: «وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون» وقال علي رضي الله عنه: أي وما خلقت الجن والإنس إلا لأمرهم بالعبادة (٤). واعتمد الزجاج على هذا القول، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا أَحَدًا﴾ [التوبة: ٣١]. فإن قيل: كيف كفروا

(١) والقول بالنسخ هنا ضعيف لعدم التعارض، وهذا مما لا ينفي القتال.

(٢) ضعيف: فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، كما عند الطبري (٢٧/ ١٢) في تفسيره.

(٣) راجع الآية (١٤) من سورة الحجرات، وتفسير البغوي (٧/ ٣٨٠) فقد ذكره عن الكلبي هناك.

(٤) عزاه الشوكاني (٧/ ٥٢) في فتح القدير لابن المنذر، عن علي - رضي الله عنه، والبغوي (٧/ ٣٨٠) في تفسيره.

وقد خلقهم للإقرار بربوبيته والتذلل لأمره ومشيئته؟ قيل: تذلّلوا لقضائه عليهم؛ لأن قضاءه جار عليهم لا يقدرّون على الامتناع منه، وإنما خالفهم من كفر في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه. وقيل: ﴿إِلَّا لِيُعْبُدُونَ﴾ أي إلا ليقرّوا لي بالعبادة طوعاً أو كرهاً؛ رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١). فالكره ما يرى فيهم من أثر الصنعة. مجاهد: إلا ليعرفوني (٢). الثعلبي: وهذا قول حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَلئن سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ﴿وَلئن سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]. وما أشبه هذا من الآيات. وعن مجاهد أيضاً: إلا لأمرهم وأنهاهم (٣). زيد بن أسلم: هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة؛ فخلق السعداء من الجن والإنس للعبادة، وخلق الأشقياء منهم للمعصية (٤). وعن الكلبي أيضاً: إلا ليوحدون (٥)، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْمِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [القمان: ٣٢] الآية. وقال عكرمة: إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد. وقيل: المعنى إلا لأستعبدهم. والمعنى متقارب؛ تقول: عبد بين العبودة والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل. والتعبيد التذليل؛ يقال: طرقت معبد. قال:

وْظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُّعْبِدٍ

والتعبيد الاستعباد وهو أن يتخذ عدا. وكذلك الاعتباد. والعبادة الطاعة، والتعبد التنسك. فمعنى ﴿لِيُعْبُدُونَ﴾ ليدلّوا ويخضعوا ويعبدوا. ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ ﴿مَنْ﴾ صلة أي رزقا بل أنا الرزاق والمعطي. وقال ابن عباس وأبو الجوزاء: أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا أن يطعموها (٦). وقيل: المعنى ما أريد أن يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ وقرأ ابن محيصن وغيره «الرازق» ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ أي الشديد القوي. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب والنخعي «المتين» بالجر على النعت للقوة. الباقر بالرفع على النعت لـ ﴿الرَّزَّاقِ﴾ أو ﴿ذُوِّ﴾ من قوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أو يكون خبر ابتداء محذوف؛ أو يكون نعتاً لاسم ﴿إِنَّ﴾ على الموضع، أو خبراً بعد خبر.

قال الفراء: كان حقه المتينة فذكره لأنه ذهب بها إلى الشيء المبرم المحكم القتل؛ يقال: حبل

متين. وأنشد الفراء:

لِكُلِّ دَهْرٍ قَدْ لَبَسْتُ أُتُوبًا حَتَّى اكْتَسَى الرَّأْسُ قِنَاعًا أَشْيَبًا
مِنْ رِيْطَةٍ وَالْيَمَنَةُ الْمُعَصَّبَا

(١) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس - رضي الله عنهما: الطبري (١٣/٢٧) في تفسيره.

(٢) ذكره البغوي (٧/٣٨٠) في تفسيره.

قلت: والمعرفة تالية بعد التوحيد؛ لأن أول واجب على المكلف التوحيد، فما من نبي بدأ دعوته إلا ويقول:

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. فهذا هو الواجب الأول، والله أعلم، قاله ابن باز في تعليقه على الفتوح.

(٣، ٤) تفسير البغوي (٧/٣٨٠)، وانظر: الدر المنثور (٦/١٤٢) للسيوطي، وعزاه لابن المنذر.

(٥) ولعله الصحيح: السابق (٧/٣٨١).

(٦) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/١٤).

فذكر المعصب؛ لأن اليمنة صنف من الثياب؛ ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي وعظ ﴿وَآخِذُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧] أي الصباح والصوت.
قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي كفروا من أهل مكة ﴿ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أي نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السالفة. وقال ابن الأعرابي: يقال: يوم ذُنُوبٌ أي طويل الشر لا ينقضي. وأصل الذنُوب في اللغة الدلو العظيمة، وكانوا يستقون الماء فيقسمون ذلك على الأنصباء فقبل للذنُوب نصيب من هذا؛ قال الراجز:

لَنَا ذُنُوبٌ وَلَكُمْ ذُنُوبٌ فَإِنْ آيْتُمْ فَلَنَا الْقَلْبُ

وقال علقمة:

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحَقُّ لِسْأَسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبٌ

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ وَالْمَنَايَا طَارِقَاتٌ لِكُلِّ بَنِي أَبِي مِنْهَا ذُنُوبٌ

الجوهري: والذنُوب: الفرس الطويل الذنب، والذنُوب النصيب، والذنُوب: لحم أسفل المتن، والذنُوب الدلو المملأى ماء. وقال ابن السكيت: فيها ماء قريب من الملاء يؤنث ويذكر، ولا يقال لها وهي فارغة: ذنُوب، والجمع في أدنى العدد أذنبه والكثير ذنائب، مثل قُلُوصٍ وَقَلَانِصٍ. ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي فلا يستعجلون نزول العذاب بهم؛ لأنهم قالوا: يَا مُحَمَّدُ ﴿فَأَتْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠] فنزل بهم يوم بدر ما حقق به وعده وعجل بهم انتقامه، ثم لهم في الآخرة العذاب الدائم، والحزني القائم، الذي لا انقطاع له ولا نفاذ، ولا غاية ولا آباء.
تم تفسير سورة «الذاريات» والحمد لله.